

الفصل الرابع

الحذف

قضية الحذف من القضايا المهمة التي عاجلتها البحوث الأسلوبية والنحوية والبلاغية بوصفها انحرافاً عن المستوى التعبيري العادي.

ويستمد الحذف أهميته من حيث إنه لا يورد المنتظر من الألفاظ، ومن ثم يفجر في ذهن المتلقى شحنة فكرية توقظ ذهنه، وتجعله يتخيل ما هو مقصود. وعملية التخيل هذه - التي يقوم بها المتلقى - تؤدي إلى حدوث تفاعل من نوع ما بين المرسل والمتلقى قائم على الإرسال الناقص من قبل المرسل، وتكملة هذا النقص من جانب المتلقى.

والحذف لا يحسن في كل حال، إذ ينبغي ألا يتبعه خلل في المعنى أو فساد في التركيب، لذا لا بد أن يتأكد المرسل من وضوح المحذوف في ذهن المتلقى وإمكان تخيله.

ومن خصائص العربية أن فيها أنماطاً متعددة من الحذف، فهي لا تكفي «بالاستكثار من الحذف، ولكنها تنوعه أيضاً، حتى لو قال قائل: إن العربية هي لغة الحذف ما كان عليه من ذلك بأس»^(١).

وقد اختلف المنظور النحوي عن مثيله البلاغي في النظر إلى هذه القضية، فالنحاة يبحثون الحذف من منطلق يجوز أو لا يجوز، فمما يجوز حذفه - مثلاً - تمييز «كم» الاستفهامية إذا دلّ عليه دليل، كما يجوز - عندهم - حذف حرف الجر «رُب» وبقاء عمله. ومثال ما لا يجوز حذفه الفاعل ونائبه.

وتظهر علّة ذلك في كون هؤلاء النحاة لا يميزون حذف العُمدة أو ما يقوم مقامه ويحل محله، ولذا لم يحذفوا الفاعل أو النائب عنه، في الوقت الذي حذفوا فيه ما يُعدّ من المكملات مثل المفاعيل - ويدخل ضمنها تمييز «كم» الاستفهامية - لأنها مما يمكن أن يحذف ولا يحدث لبساً عند المتلقى، إذ إن مثل هذا الحذف يكون في ظاهر اللفظ ولا

(١) مجمع اللغة العربية، كتاب الألفاظ والأساليب. القاهرة (١٩٧٧م) ص ٢٢٢.

يكون في ذهن السامع، ذلك أن الحذف عند النحاة والبلاغيين معًا ليس نفيًا مطلقًا للمحذوف، وإنما هو عدم ظهوره في البناء الظاهري للجملة، وكأن المُعْوَل عليه عند الطائفتين هو قول ابن مالك حين قال: «وحذف ما يُعلم جائز».

كذلك تَحَدَّث النحاة عما يجب حذفه مثل: خبر «لولا»، وخبر «لا» النافية للجنس، إذ تقديره في الحالين «موجود».

أما البلاغيون فيرون أن إيجاز الحذف ينبغي ألا يؤدي إلى غموض المعنى، إذ به تكون صورة الجملة مؤدية للمقصد البلاغي، وفي ذلك دلالة على تناولهم لظاهرة الحذف الذي حددوا ماهيته وكيفيته وعله اللجوء إليه.

وأهمية الحذف - عندهم - تنبع من أنه يثير الانتباه، ويُلَفِّت النظر، ويبعث على التفكير فيما حُذِف، فتحدث عملية إشراك للمتلقى في الرسالة الموجهة إليه.

ويعنى ذلك أن البلاغيين كانوا على وعى بتأثير الحذف وقيمته في التركيب، ولا يختلفون على أنه أكثر بلاغة من الذُكْر؛ لأن الذُكْر سَيَّرَ فيما هو مألوف من أساليب التعبير، والمألوف - أيًا كان - ليس له من الإثارة ما لغير المألوف.

فالحذف - إذن - خروج عن النمط الشائع في التعبير أو هو حَزَقٌ للسنن اللغوية، ومن هنا كانت قيمته وتأثيره.

ويتناول هذا الفصل بيان عدة أمور:

أولاً: ظاهرة حذف المسند إليه في الجملة الاسمية، وهي تنقسم إلى ثلاث صور:

الأولى: حذف المسند إليه في صدر البيت.

الثانية: حذف المسند إليه في عَجْز البيت.

الثالثة: حذف المسند إليه في صدر البيت وعجْزه معاً.

ثانياً: دراسة ظاهرة حذف المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية، وهي تأتي في أربع

صور:

الأولى: حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول المطلق عنهما.

الثانية: حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول به.

والثالثة: حذف المسند والمسند إليه لوجود قرينة على حذفهما.

والرابعة: حذف المسند والمسند إليه في التراكيب الشائعة في الاستعمال العربى القديم.

ثالثاً: دراسة الحذف في الحروف، وفيه بحث للظواهر التالية:

(١) حذف همزة الاستفهام.

(٢) حذف «لا» النافية.

(٣) حذف «هل» بعد «أَمْ» التى للإضراب.

(٤) حذف حرف النداء.

رابعاً: دراسة ظاهرة الحذف في التركيب الشرطى، وفيه بحث لظاهرتين اثنتين:

(١) حذف أداة الشرط وفعله.

(٢) حذف جواب الشرط.

وأخيراً يعرّج الفصل على حذف الفَصَلات أو المُكَمَّلَات فيتناول المسائل التالية:

(١) حذف المفعول به وهو يأتى فى ثلاث صور:

(أ) حذف المفعول به لفعل يتعدى فى الأصل إلى مفعول به واحد.

(ب) حذف المفعول به الأول لفعل يتعدى فى الأصل إلى مفعولين.

(ج) حذف المفعول به الثانى لفعل يتعدى فى الأصل إلى مفعولين.

(٢) حذف النعت.

(٣) حذف المنعوت وإبقاء النعت.

(٤) حذف المستغاث به.

(٥) حذف المستغاث لأجله.

(٦) حذف المعطوف عليه.

أولاً: حذف المسند إليه فى الجملة الاسمية:

تتكون الجملة المفيدة من ركنين أساسيين هما: المسند إليه، والمسند.

والمسند إليه هو الفاعل ونائبه، والمبتدأ، واسم الفعل الناقص، واسم الحرف الناسخ.

أما المسند فهو الفعل، واسم الفعل، وخبر المبتدأ، وخبر الفعل الناقص، وخبر الحرف

الناسخ.

والمقصود بالمسند إليه المحذوف في الجملة الاسمية الذي نتناوله هنا هو المبتدأ، وقد ورد في ثلاث صور:

الصورة الأولى: حذف المسند إليه في صدور الأبيات:

ويبلغ عدد مواضع هذه الصورة ثلاثمائة واثنين وعشرين موضعًا بنسبة ٣,٥٪ إلى مجموع أبيات الديوان، أي أنها تشكل ظاهرة لافتة للنظر.

وتتوزع هذه المواضع كما يلي:

- (١) مائة وثمانية وستون موضعًا في الوصف.
- (٢) ثلاثة وستون موضعًا في الغزل.
- (٣) أربعة وأربعون موضعًا في المدح.
- (٤) سبعة عشر موضعًا في الفخر.
- (٥) خمسة عشر موضعًا في الذم.
- (٦) سبعة مواضع في الرثاء.
- (٧) سبعة مواضع في الهجاء.
- (٨) موضع واحد في الزهد.
- (٩) حذف المسند إليه في الوصف:

ورد المسند إليه محذوفًا في مجال الوصف في مائة وثمانية وستين موضعًا. وتشكل هذه الظاهرة نحو نصف عدد مواضع ظاهرة حذف المسند إليه، وكان المسند في هذه المواضع:

الخمر، والليل، والدهر، والنجوم، والسحاب، والبحر، والمطر، والحرب، والأهرام، والدُّوح...

يقول عن الخمر:

خَمْرًا دَارَ بِهَا الْحَبَابُ، كَأَنَّهَا
شَفَقَ بَدَتْ فِيهِ نَجُومَ سَمَاءِ^(١)

وعن الليل:

لَيْلٌ غَيَاهِبُهُ حَيْرَى، وَأَنْجُمُهُ
خَيْرَى، وَسَاعَاتُهُ فِي الطَّوْلِ كَالْحِجَجِ^(٢)

(١) الديوان ج١، ص ٧٢.

(٢) الديوان ج٢، ص ١٥٣.

ويقول:

ذَهْرٌ يَنْغُرُ، وَأَمَانٌ تَسْرُ، وَأَعْمُ
سَمَارٌ تَمْرٌ وَأَيْامٌ لَهَا حُجْدَعٌ^(١)
والتقدير في ثلاثة المواضع السابقة:
«هى حمراء»، و«هو ليل»، و«هو دهر».

وحذف المسند إليه في هذه المواضع، وفي غيرها من المواضع التي وردت في مجال الوصف، يجيء بغرض التعظيم والتوقير وإضفاء المهابة على الوصف، فالمسند هو البحر، أو الليل، أو الحرب... كما يجيء هذا الحذف بهدف التشويق، ودليل ذلك كله وقوع المسند في كل هذه المواضع في أول صدر البيت، مما يجعل هذا المسند مفتاحًا للبيت ينطلق منه الشاعر، ويبني عليه الأفكار والمعاني.

وتتردد في هذه المواضع التي جاءت في مجال الوصف ألفاظٌ بعينها يقع كل منها مسندًا مثل: «ملاعب» - ويقصد مسارح لُعبه في طفولته ومجال أنسه ولهوه - وتأتى في ستة مواضع^(٢)، و«حمراء» - وهى الخمر - وتَرَدُّ في ثلاثة مواضع^(٣)، و«منازل» - وهي الأماكن التي بها ذكرياته - وتجيء في موضعين^(٤)، و«بلاد» - ويعنى وطنه مصر - ويقع في موضعين^(٥)، و«صرحان» و«بناءان» - ويقصد الهرمين - و«ردان» في موضعين^(٦)، ومثلهما «آيات» و«رموز» - وهى الأهرام - ويقعان في موضعين كذلك^(٧).

وتَرَدُّ هذه الألفاظ وأمثالها بما تحمله من معانٍ دليلٌ يدعم استنتاجنا، أعنى أن حذف المسند إليه في هذه المواضع كان بهدف بث الهيبة والعظمة وجعل البيت ينبنى على هذه اللفظة التي تنصدره.

(١) اللحيان ج٢، ص ٢٦٣.

(٢) ج١، ٨/٢٥٥، ٥/٢٦٤، ج٢، ٣/٦٤، ٣/٣٣٥، ج٣، ١/٣٤١، ٢/٥٧٨.

(٣) ج١، ٤/٧٢، ج٢، ٣/١٣٣، ج٣، ١/٣٢٤.

(٤) ج١، ٣/١١٢، ج٢، ٣/٢٦٧.

(٥) ج٢، ٥/٣٦٧، ج٤، ٣/٢٢٧.

(٦) ج٢، ٢/٥٣، ج٣، ١/٢٢٦.

(٧) ج٢، ١/٥٤، ج٣، ١/٢٦٨.

(٢) حلف المسند إليه في الغزل:

وعدد مواضعه ثلاثة وستون موضعاً.

وقد صَوَّرَ الشاعرُ في هذا الغزل الحب، والشوق، والهيام، ونظرة المحبوبة، وقدَّها، ومنزلها، ووجهها، وعينها.
يقول:

فَتَاةٌ لَهَا فِي مَنْصِبِ الْحُسْنِ سُورَةٌ تَقْصُرُ عَنْهَا الْغَيْدُ وَهِيَ زَوَاجِحُ^(١)

ويقول:

هَيْفَاءُ مَالِ بَيْتِهَا النَّعِيمُ فَخَطُّوْهَا دُونَ الْقَطَاةِ وَنُطْقُهَا إِبْمَاءُ^(٢)

والتقدير في الموضعين: «هى فتاة»، و «هى هيفاء».

وحذف المسند إليه في الغزل يأتى بغرض التعظيم وإنزال الموصوف منزلة كبيرة، فالمسند إما فتاته، أو نظرتها، أو قوامها، أو حبه..

يُضَافُ إِلَى هَذَا أَنَّ الْحَذْفَ - هُنَا - يَجِيءُ بِغَرَضِ تَدْلِيلِ الْحَبِيبَةِ، وَبَيَانِ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى تَعْرِيفٍ أَوْ إِشْهَارٍ. وَثَمَّةُ الْفَافِظِ تَتَكَرَّرُ فِي الْغَزْلِ: فَلَفْظَةُ «فَتَاةٌ» - وَهِيَ مَحْبُوبَتُهُ - تَرِدُ سِتْ مَرَّاتٍ^(٣). وَالْأَلْفَافِظُ التَّالِيَةُ يَجِيءُ كُلُّ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ:

«حوراء»^(٤)، و«نظرة»^(٥)، و«خلاء»^(٦) - ويقصد منازل أحبائه و«طُزْف»^(٧)، و«صريع»^(٨)، و«صريع هوى»^(٩)، و«غزال»^(١٠).

(١) الديوان جا، ص ١٥٦.

(٢) الديوان جا، ص ٦٦.

(٣) جا: ٢/١٥٦، ٢/١٠٦، ٢/٩، ١/١٤٦، ٣، ١/٤٩، ٤: ٢/٢٠٩.

(٤) ٢، ٢/١٠٤، ٤/١٢١.

(٥) جا، ٣/٨٠، ٢، ٤/٣٧٠.

(٦) جا، ٥/٢١٠، ٣، ١/١٣٧.

(٧) جا: ١/١٤٥، ٣/١٥١.

(٨) ٢، ٦/٩، ٣، ٢/١٤٦.

(٩) ٢، ٣/٣٩، ٤، ٢/٢٢١.

(١٠) ٢، ٢/٢٨١، ٢، ٢/٤٣٨.

(٣) حذف المسند إليه في المدح:

وعدد مواضعه أربعة وأربعون موضعًا.

يقول عن حافظ إبراهيم:

لَبِقَ بِتَضْرِيْفِ الْكَلَامِ نَسْوَقَهُ مَا شَاءَ بَيْنَ سُهَوْلَةٍ وَعَزَازٍ^(١)

ويقول عن الشيخ جمال الدين الأفغاني:

ذُو فِكْرَةٍ قَاضَتْ بِمَا أُودِعَتْ

مِنْ حِكْمَةٍ، كَالْمَارِضِ الْمُتَّجِمِ^(٢)

ويمدح صديقه الشيخ حسينًا المرصفي فيقول في ثلاثة أبيات متتالية:

هَمَامٌ أَرَانِي الدُّهْرَ فِي طَيِّ بُرْدِهِ وَفَقَّهَنِي حَتَّى اتَّقَتْنِي الْأَمَائِلُ

أَخٌ جِئْتُ لِأَبْنَيْ أَخِي، وَبِحَامِلِ إِذَا قَلَّ عِنْدَ النَّائِبَاتِ الْمُجَامِلُ

بَعِيدُ مَجَالِ الْفِكْرِ، لَوْ خَالَ خَيْلَةَ أَرَاكَ بَظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الدُّهْرُ فَاعِلِ^(٣)

وحذف المسند إليه في المواضع السابقة يأتي لإضفاء الهيبة والجلال على المدح،

وتوقيره وتعظيمه.

والمدح - عند البارودي - يتسم بسمة أساسية، وهي أن كل الصفات المخلوعة على

المدحوحين معنوية، فالمدح «سهل الخليفة»، أو «متواضع للقوم»، أو «صادق الود»، أو

«مهذب الطبع» أو «المعنى»...

ولعل هذا راجع إلى أن كل من مدحهم كانوا أصدقاءه أو أساتذته، أو حكام البلاد،

والثابت في ذلك أنه لم يتكسب من المدح شيئًا.

(٤) حذف المسند إليه في الفخر:

وبردٌ في سبعة عشر موضعًا.

يقول البارودي عن نفسه:

وَقَوْرٌ، وَاخْلَامُ الرُّجَالِ خَفِيْفَةٌ صُبُوْرٌ، وَنَارُ الْخَرْبِ مِرْجَلُهَا يَغْلِي^(٤)

(١) الديوان ج٢، ص ١٦١.

(٢) الديوان ج٣، ص ٥٥٦.

(٣) الديوان ج٣، ص ٧١.

(٤) الديوان ج٣، ص ٧٨.

فالصفات التي خلعتها على نفسه وافتخر بها كلها معنوية، فهو «وَقُورٌ» و «صَبُورٌ» كما أنه «صَبُولٌ» و «هُمَامٌ»، وسجيته هي:

سَجِيَّةُ نَفْسٍ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى
سَجِيَّةُ نَفْسٍ أذْرَكَتْ مَا تُرِيدُهُ

مِنَ الدُّهْرِ، فَأَغْتَاضَتْ عَنِ الشُّكْرِ بِالصُّخْرِ^(١)

ويقول عن قصيدة له:

كَالْبَرْقِ فِي عَجَلٍ، وَالرُّغْدِ فِي زَجَلٍ
غَرَاءٌ، تَغْلِقُهَا الْأَسْمَاعُ مِنْ طَرْبٍ
حَوْلِيَّةٌ، صَاغَهَا فِكْرٌ أَقْرَ لَهُ^(٢)

والتقدير: هي - أي قصيدته - «كالبرق»، وهي «غراء» وهي «حولية».

ومن الملاحظ أن الصفات التي وصف بها قصيدته صفات معنوية.

ويقول في الفخر بقومه:

أَنَاسٌ إِذَا مَا أَجْمَعُوا الْأَمْرَ أَضْبَحُوا
وَمَا هُمْ بِنِظَارِينَ لِلغَيْمِ وَالصُّخْرِ^(٣)

والتقدير: هم (أو قومي) أناس.

أما عن دلالة حذف المسند إليه في الفخر فذلك كان للتفخيم والتعظيم.

(٥) حذف المسند إليه في الظم:

ويأتي في خمسة عشر موضعا.

ويلاحظ عند تحليل تلك الظاهرة أن الصفات التي يُنعتُ بها من يذمه الشاعر قد

تكون معنوية، كما في قوله:

مُتَلَوْنَ الْأَخْلَاقِ بَيْنَ عَشِيرَةٍ
جَهْلًا، كَمَا يَتَلَوْنَ الشُّقْرَاقِ^(٤)

(١) الديوان ج٢، ص ٢٧٥.

(٢) الديوان ج٤، ص ٢١٧.

(٣) الديوان ج٣، ص ٣٢، ٣٣.

(٤) الديوان ج٤، ص ٢١٠.

(٥) الديوان ج٢، ص ٣٠٧.

وقد تكون هذه الصفات غير معنوية، كما في قوله:

قَبَاحُ النُّوَاصِي والوجوه، كَانْتَهُمُ لِيَغْنِرَ أَيْ هَذَا الْإِنَامُ جُنُودًا^(١)

والتقدير في الموضعين: «هو متلون الأخلاق»، و«هم قباح النواصي».

وَحَذَفُ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ فِي الذَّمِّ يَجِيءُ لِتَحْقِيرِ الْمَذْمُومِ، وَالتَّهْوِينِ مِنْ شَأْنِهِ، وَالْحَطِّ مِنْ مَنَزَلَتِهِ، كَمَا أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ يَفِيدُ أَنَّ الْمَذْمُومَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَأْكِيدِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الَّتِي نُعِتَ بِهَا، فَهِيَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ.

وقد اسْتُخْدِمَتْ كَلِمَةُ «قَوْمٍ» فِي الذَّمِّ، وَكَانَ الْمَسْنَدُ إِلَيْهِ مَحْذُوفًا كَمَا اسْتُخْدِمَتْ ذَاتُ الْكَلِمَةِ فِي الْمَدْحِ.

ووردت كلمة «قوم» الواقعة مسندًا - في الذم - في موضعين، كان المسند إليه فيهما محذوفًا، بينما وَرَدَتْ الْكَلِمَةُ فِي الْمَدْحِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ.

(٦) حذف المسند إليه في الرثاء:

ويقع في سبعة مواضع.

ويبدو من المواضع السبعة التي ورد المسند إليه فيها محذوفًا في الرثاء أنه يرثى ابنته في ثلاثة منها، ويرثى رفاة الطهطاوى في ثلاثة أُخَرَ، ويرثى وَلَدَهُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. يقول عن ابنته:

وَمَا تُنْحَسِرُ عَنْ صَفْحَتَيْهَا الشَّائِرِ^(٢)

خَمَاسِيَّةٌ، لَمْ تُدْرِ مَا اللَّيْلُ وَالسُّرَى

والتقدير: هي (ابنته) خماسية.

ويقول عن رفاة:

وَيُثْنِي عَلَى آسَارِهَا الْمَلَوَانِ^(٣)

جَلَالٌ يَفُوحُ الْمِسْكُ عَنْهَا مَحْدَثًا

أى: هي جلال.

والحذف في الرثاء كان - كما في الوصف والغزل والمدح والفخر - للتعظيم والإجلال.

(١) الديوان جا، ص ٢٢٣.

(٢) الديوان ج٢، ص ٨٣.

(٣) الديوان ج٤، ص ١٠٥.

(٧) حذف المسند إليه في الهمجاء:

ويأتى في سبعة مواضع.

وقد يلصق الشاعرُ بمن يهجوهُ صفات معنوية، كما في قوله:

أَهْوَجُ، أَحْمَقُ، شَتِيمٌ، لَبِيمٌ أَعْتَمُ، أَيْبَهُ، زَنِيمٌ، عُتْلٌ^(١)
وقد تكون هذه الصفاتُ غيرَ معنويةٍ، كما في قوله:
صَفْرُ الْوُجُوهِ مِنَ الْأَخْقَادِ، تَحْسَبُهُمْ

- وَهُمْ - أَصِحَاءٌ - فِي دِرْعٍ مِنَ السَّقَمِ^(٢)

والتقدير: «هو أهوج...» و «هم صفر الوجوه». والحذف في الهمجاء - تمامًا كما في الظم - كان للتحقير من شأن المهجور والتقليل من قيمته في الحياة، كما أن هذا الحذف يوحى بملازمة هذه الصفات للمهجو.

(٨) حذف المسند إليه في الزهد:

ويجيء في موضع واحد هو:

حَرَكَاتٌ سَوَّفَ تَفْنَى ثُمَّ يَثْلُوهَا خَفْوَةٌ^(٣)
أى: «هى حركات».

والحذف - هنا - لتحقير شأن المسند «حركات».

من هذا نرى أن حذف المسند إليه ورد في مائتين وتسعة وتسعين موضعًا مفيدًا الإجلال والتعظيم، وذلك بنسبة ٩٣٪ تقريبًا إلى مجموع المواضع التي ورد المسند إليه محذوفًا فيها.

وجاء حذف المسند إليه بغرض التحقير والتهوين في ثلاثة وعشرين موضعًا بنسبة ٧٪ تقريبًا إلى مجموع مواضع ظاهرة حذف المسند إليه.

والملاحظ أن كل المواضع التي ورد فيها المسند إليه محذوفًا كان المسند واقعًا في أول صدر البيت، ماعدا بيتًا واحدًا ورد المسند فيه في آخر الصدر، يقول فيه:

(١) الديوان ج٣، ص ٢٣٦.

(٢) الديوان ج٣، ص ٥٨٥.

(٣) الديوان ج١، ص ١٤٦.

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْنِي، تَجِيئةً يُؤَافِيكَ فِي مُخْلِذِ بِهَا الْمَلَكَانَ^(١)

أى: «هي تحية.....»

ووقوع المسند «تحية» في آخر صدر البيت يفقده شيئاً من أهميته، ذلك أن ورود المسند في أول الصدر يعنى أنه من الأهمية بحيث يتقدم على ما سواه ويبدأ مطلع البيت به، كما أن مجيء المسند في أول الصدر يجعل منه المحور الأساسي الذي يدور حوله معنى البيت.

ويعنى ذلك كله أن البدء بالمسند يُضفى عليه أهمية يفترق بعضها إذا تأخر.

الصور الثانية: حذف المسند إليه في أعجاز الأبيات:

ويأتى ذلك الحذف في عشرة مواضع.

يقول:

قَالَتْ: فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ يَسْتَطْبُ بِهِ

قُلْتُ: الْوَصَالُ، فَرَأَحْتُ وَهَى تَبْتَسِيمُ^(٢)

أى قلت، هو (أو الدواء) الوصال.

ويقول:

كَلُّ وَغَدْبٌ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَأَا زِ، وَلَكِنْ مِنَ الْجَمَارِ أَضَلُّ^(٣)

أى: ... هو أضل.

وهذه الصورة - التى ورد فيها المسند إليه محذوفاً ووقع المسند في عجز البيت - تختلف عن سابقتها التى كان موقع المسند فيها في أول الصدر؛ فتأخر المسند أفضده بعض الأهمية فلم يعد هو محور البيت، بل صار جزءاً من المعانى التى يحتوئها البيت.

الصورة الثالثة: حذف المسند إليه في صدر البيت وعجزه:

ويأتى هذا الحذف في موضع واحد هو:

(١) الديوان ج٤، ص ١٠٧.

(٢) الديوان ج٣، ص ٤٤٥.

(٣) الديوان ج٣، ص ٢٤١.

فَإِذَا عَابِلٌ فَأَصُونُ مِنْهُ وَإِنَّمَا فَاجِرٌ فَأَصُونُ عِرْضِي^(١)

والحذف - هنا - يختلف عما سبق في أن المسند إليه محذوف بعد إِمَّا مرتين، في صدر البيت وعجزه.

والتأكيد واضح في الحذفين، ودليله البدء بالمسند بعد إِمَّا، وتكرار إِمَّا، ووجود الفاء في الفعل المضارع المكرر «أصون»، كما تتضح أيضا الموسيقى في ألفاظ البيت:

فَإِذَا عَابِلٌ فَأَصُونُ مِنْهُ وَإِنَّمَا فَاجِرٌ فَأَصُونُ عِرْضِي

ثانياً: حذف المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية:

وَيَرِدُ هَذَا الْحَذْفُ فِي أَرْبَعِ صُورٍ:

الصورة الأولى: حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء عنهما بالمفعول المطلق:

تشيع ظاهرة وُزود المفعول المطلق والاستغناء عن المسند والمسند إليه في التراث العربي شيوعاً كبيراً، ومن هنا يبدو التأثير بالأساليب العربية التقليدية في شعر البارودي. وقد وَرَدَ في هذه الظاهرة المفعول المطلق «مهلاً» سبع مرات^(٢)، ونظيره «صَبْرًا» أربع مرات^(٣)، ثم كلٌّ من «رِفْقًا»^(٤)، و«عَطْفًا»^(٥)، و«قَضَاءً»^(٦)، و«عِرَاكًا»^(٧) مرة واحدة. يقول:

مَهْلًا إِنَّمَا الْجَهْلُ، لِأَنْفُوكِ مَا نَظَرْتُ
عَهْنَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ^(٨)

التقدير: تمهل مهلاً...

يقول:

يَا قَلْبُ صَبْرًا جَبِيلًا، إِنَّهُ قَدَرٌ
أَيُّ: يَا قَلْبُ اصْبِرْ صَبْرًا...

(١) الديوان ج٢، ص ١٩٦.

(٢) ج١، ٢/٦٥، ١/١٣٤، ج٢، ٢/١٠٢، ٢/١١٨، ٧/٢٦٣، ج٣، ١/٢٥٧، ج٤، ٢/٧٩.

(٣) ج١، ٢/١٣٤، ج٢، ٤/٢٢١، ٢/٢٤٨، ٤/٢٣٢.

(٤) ج٢، ٢/٦٦.

(٥) ج٣، ٤/٤٤٣.

(٦) ج٣، ٢/١٦٥.

(٧) ج٣، ١/٣١، وقد ورد في هذا الموضع مصدر آخر - بالإضافة إلى المصدر «عراكا» - وهو «مَيَّاسَرَةٌ».

(٨) الديوان ج٤، ص ٧٩.

(٩) الديوان ج٢، ص ٣٣٢.

وهذه الظاهرة لم تُستخدم في الديوان إلا في مجال النصيحة، والاستعطاف والحض على شيء ما، والتعزية، فالمعاني المفهومة من المفعول المطلق المُستخدم لا توحى إلا بهذا.

وقد شدُّ عن ذلك موضعٌ واحد ورَدَّ فيه المفعول المطلق مسبوقةً بأداة استفهام «الهمزة»، مما جعل معنى البيت ينبى على هذا الاستفهام.

يقول:

أَصْبِرًا عَلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ عَهْدُ الْحَصَى؟ أُنَى لى الله زاجعٌ^(١)

الصورة الثانية: حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول به؛

ويأتى ذلك في موضع واحد.

يقول:

الله فى عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى فيكم، وَقَلْبِ قَدْ بَرَاهُ الْغَزَامُ^(٢)

والتقدير: اتقوا الله.

والتصريح بالمفعول به وهو لفظ الجلالة «الله» - بعد حذف المسند والمسند إليه -

ووقوعه في أول صدر البيت يُضيفان عليه - أى على لفظ الجلالة - مهابة وتوقيراً.

الصورة الثالثة: حذف المسند والمسند إليه لوجود قرينة على حذفهما؛

ويجىء ذلك في موضعين.

يقول:

فأين الألى شادوا، وبأدوا؟ ألم تكن

نحلٌ كما حلوا، ونرحلٌ مثلما؟^(٣)

والتقدير: ... ونرحل مثلما رحلوا؟

إذ حُذف المسند والمسند إليه؛ لأنهما مفهومان من السياق في عجز البيت.

..... نحل كما حلوا، ونرحل مثلما (رحلوا).

أداتا تشبيه: كما، مثلما.

(١) الديوان ج٢، ص ٢٢١.

(٢) الديوان ج٣، ص ٣٥٧.

(٣) الديوان ج٣، ص ٣٩٧.

أفعال من جذر واحد: نحل، حلوا، ونرحل، رحلوا.

فعلان مضارعان: نحل، نرحل.

فعلان ماضيان: حلوا، رحلوا.

ونلاحظ من هذا أن الجملة الفعلية المحذوفة بفعالها وفاعلها لا بد أن تكون من

جنس المذكورة «نرحل».

ويقول:

هِيَ مَهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشَغَافِهَا مَغْمُودَةٌ، إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدِ^(١)

أى: فكأنها قد ماتت.

والحذف هنا يدل عليه الفعل المذكور «تَمَّتْ».

أى أن الحذف في الموضعين إنما كان لوجود دليل بحيث إن المعنى لم يلتبس

والتركيب لم يختل.

الصورة الرابعة: حذف المسند والمسند إليه في التراكيب الشائعة:

ويأتى ذلك في موضعين:

يقول:

أَلَا بِأَبَى مَنْ كَانَ نُورًا مُجَسَّدًا بَفَيْضِ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ رَاوَاهُ^(٢)

يقول:

أَلَا بِأَبَى مَنْ حُسْنُهُ وَحَدِيثُهُ إِذَا مَا اتَّقَيْنَا لُدَّةَ الْغَيْنِ وَالسَّمْعِ^(٣)

والتقدير في الموضعين: أفدى بأبى...

وحذف المسند والمسند إليه في مثل هذه التراكيب شائع في العربية، وهو لا يكون إلا

إذا كان المقدى ذا منزلة عظيمة لدى الفادى، فهو في الموضع الأول صديقه «عبدالله باشا

فكرى»، وفي الموضع الثاني حبيبته، لذا فالموضعان تتصدرهما أداة الاستفتاح «ألا» التي

تنبه السامع أو القارىء إلى ما بعدها.

(١) الديوان جا، ص ١٩٧.

(٢) الديوان جا، ص ٨١.

(٣) الديوان ج٢، ص ٢٣٥.

ثالثاً: الحذف في الحروف:

(١) حذف همزة الاستفهام:

ويرد ذلك في أربعة مواضع.

وحذف هذه الهمزة جائز سواء أتقدمت على «أم»، أم لم تتقدمها، والأمران ممثّلان في المواضع الأربعة.

ويمثل الحالة الأولى - أعنى أن تتقدم الهمزة على «أم» - موضعان، يقول:

فَبَلِّغْ لَال، أَمْ زَبِيحٌ تَفْتَحَتْ لُزَاهِرَةٌ كَالزَّهْرِ، أَمْ نَظْمٌ نَاطِقٌ؟^(١)

وإذا عرّفنا أن الشاعر يقصد باللالئ - هنا - أبيات قصيدته التي نظمها في مدح خديو مصر «إسماعيل باشا» أدركنا أن حذف الهمزة جعل قوله: «فتلك لال» يتحول من الإنشاء إلى الخبر، كأنه يشير إلى أبياته ويقرر: «فتلك لال». فحذف الهمزة أضفى على المعنى إثباتاً وتقريراً.

ويقول عن عصفور روضة:

يَصِيحُ، فَمَا لَزِي، لِفَرْقَةٍ صَاحِبِ كَرِيمِ الشَّجَانِ، أَمْ يُغْنِي لِقَادِمٌ؟^(٢)

وتقدير الكلام: أيصيح لفرقة صاحب أم يغنى لقادم؟.

فالشاعر يتظاهر بأنه لا يعرف سبب صياح هذا العصفور لأنه فارق صاحبا - وهو الخديوى سعيد - أم لأنه يستقبل بصياحه قادماً عزيزاً - وهو الممدوح - سيتولى الولاية. والبيتان السابقان من قصيدة واحدة، وحذف همزة الاستفهام فيهما جاء ملائماً للغرض الذي نُظمت من أجله هذه القصيدة وهو المدح، إذ إن الشاعر كان يبدو - في الموضوعين السابقين - وكأنه لا يعلم أى الأمور هو الصواب، وتلك مخالفة كانت مناسبة للمدح.

أما الحالة الأخرى التي تُحذف فيها همزة الاستفهام، ولا يكتفى بعدها «أم» فتوالمها موضعان:

(١) الديوان ج٢، ص ٢١٣.

(٢) الديوان ج٢، ص ٢٩٧.

يقول:

تَلُومِيْنِي عَلَى عِبْرَاتِ عَيْنِي؟ وَتَوْلَا الْحُبُّ لَمْ تَجْرِ الْمَاقِي^(١)

وحذف الهمزة - هنا - أكسب الكلام تقريرًا وإثباتًا، بل إن حذفها كان موافقًا لمقام الحزن والبكاء الذي يقصر فيه النفس وتختنق الكلمات، ومن ثم حذفت الهمزة لأنها ثقيلة المخرج.

ويقول في الموضع الآخر:

أَسْأَلُ الدِّيَارَ عَنِ الْحَبِيبِ فِي الْحَشَا دَارًا لَهُ مَأْهُوْلَةٌ وَمَقَامٌ^(٢)

فحذفت همزة الاستفهام، والمعنى: أسأل الديار عن الحبيب وحذفها في هذا الموضع كان ملائمًا للموقف الذي يقفه الشاعر وهو موقف الحسرة على ما فات، ففي البيت حزنٌ منع الهمزة المجهورة من الظهور، فهو كسابقه. ويصح أن يكون الكلام في الموضعين خبرًا، تقديره في الأول: أنتِ تلوميني . . . وفي الآخر: إنى أسأل . . . بحذف همزة الفعل في الثاني تخفيفًا.

(٢) حذف «لا» النافية؛

ويأتى في صورتين:

الصورة الأولى: حذفها في جواب القسم؛

ويجىء ذلك في سبعة مواضع.

يقول:

عَنْ حُسَيْنِهِمْ تَالَهُ تَنْحَرِفُ^(٣) قَلْبِي بِهِمْ كَلِيفًا، وَتَاظِرْتِي

أى: تالله لا تنحرف.

وحذف «لا» النافية يجوز «في جواب القسم إذا كان المنفى مضارعًا»^(٤). وقد كانت

الأفعال الواقعة في جواب القسم في المواضع السبعة مضارعة. وحذف حرف النفي لا

(١) الديوان ج٢، ص ٣٢٣.

(٢) الديوان ج٣، ص ٣١٥.

(٣) الديوان ج٢، ص ٢٨٧.

(٤) ابن هشام، مغنى اللبيب، ج٢، ص ١٧١.

يؤدى إلى التباس المعنى بالإثبات، «لأن الفعل الموجب بعد القسم تلزمه اللام والنون، فترك اللام والنون مشعر بأن الفعل منفي»^(١)، إذ لو كان الفعل مثبتاً لوجب توكيده باللام والنون.

وفي موضعين من هذه المواضع كان الفعل الواقع في جواب القسم هو «أنسى» .
يقول:

فَتَاللهِ أَنَسَى عَهْدَهَا مَا تَرْتَمَتْ بَنَاتُ الضُّحَى بَيْنَ الْأَرَاكَةِ وَالرُّنْدِ^(٢)

ويقول:

تَاللهِ أَنَسَى مَا حَيَّيْتُ عُهودَهُ وَكَلَّلْتُ عَهْدِي فِي الْبِرَامِ ذِمَامًا^(٣)

فالفعل «أنسى» يشكل حوالى ٢٨,٥٪ من جملة الأفعال الواقعة في جواب القسم، والتي وردت منفية، وكانت المواضع الخمسة الأخرى كما يلي:
«تَاللهِ تَنَحَّرَفُ»، و«تَاللهِ أَهْدَأُ»، و«وَرَبُّكَ أَذْرَى»، و«الَّتِي بَشَرْنِي»، و«الَّتِي أَكْذِبُ نَفْسِي» .

أما عن الفعل «أنسى» فليس ثمة شك في أنه منفي، لا لتجرده من اللام والنون، أو لأنه لا يلتبس بالإثبات فحسب، بل لأن الموقف الذي يَقْفُهُ الشاعر وحديثه عن الوفاء والشوق في الموضعين السابقين بنفيان النسيان عنه، فالنفي في هذا الفعل أوضح من غيره من الأفعال الأخرى.
وقد ذُكرت «لا» النافية قبل الفعل «أنسى» الواقع في جواب القسم في موضع واحد فقط هو:

فَوَاللهِ لَا أَنَسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقًا وَمَا حَنَّ طَيْرٌ بِالْأَرَاكِ مَهْنِيْمًا^(٤)

كأنه أراد تأكيد القسم، خشية أن يكون فيه شبهة إثبات، إذ إنه يرثى أمه، فأتى به «لا» النافية.

ووجود «لا» في جواب القسم - هنا - يؤكد حذفها من المواضع السابقة، ويبين أن الشاعر عمد إلى حذفها عمداً.

(١) سيبويه، الكتاب، ج٣، ص ١٠٥

(٢) الديوان جا، ص ٢٠٦.

(٣) الديوان ج٢، ص ٣٣٣.

(٤) الديوان ج٣، ص ٤١٣.

الصورة الثانية، حذف «لا» النافية بعد «حتى»:

ويجىء في موضع واحد يقول فيه:

وَلَا تَسَلْ أَحَدًا عَوْنًا عَلَى أَمَلٍ حَتَّى تَكُونَ أَسِيرَ الشُّكْرِ وَالْمِنَّةِ^(١)

أى: حتى لا تكون...

وحذفها في الموضع السابق أفاد التأكيد، فهو يريد أن يقول: إنك إن تسَلْ أَحَدًا عَوْنًا

على أمل تكن أسير الشكر والمنن.

فحذف «لا» بعد «حتى» جعل المعنى المتمثل في الشطر الثاني من البيت مُحَقَّقًا لا

محالة إذا وقع المعنى المفهوم من شطره الأول.

(٣) حذف «هل» بعد «أم» التي للإضراب:

ويقع في موضع واحد فقط، هو:

هَلْ لِلْمَكَّارِمِ مَنْ يَجِيئُ مَنَاسِكَهَا أَمْ لِلضَّلَالَةِ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْ هَادِي^(٢)

أى: أم هل للضلالة...

و«أم» في البيت للإضراب، أى: الإضراب عن المعنى الأول المتمثل في صدر البيت

وإثباته للثاني المفهوم من عجزه.

وحذف «هل» - هنا - جعل المعنى الكائن في عجز البيت مُثَبِّتًا، فكأنه قد تَيَقَّنَ بعد

الاستفهام من أنه لا بد للضلالة من هادي، أو أن مجيء الهدى بعد الضلالة أهمُّ عنده من

إحياء مظاهر الكرم، لذا أَضْرَبَ عن المعنى الأول وأَثْبَتَهُ للثاني.

(٤) حذف حرف النداء:

ويرد ذلك في ثلاثة عشر موضعًا.

ويرد حرف النداء في عدة مظاهر:

أ- قد يكون المناذى مضافًا إلى ياء المتكلم، وموقعه صدارة البيت، وهو لفظة «خَلِيلِي».

وعدد مواضع هذه الصورة أربعة.

(١) الديوان ج٤، ص ٨٢.

(٢) الديوان ج١، ص ٧٥٠.

يقول:

خَلِيلِي! هَذَا الشُّوقُ لَا شَكَّ قَائِلِي

فمبلاً إلى «المقياس» إن حِفْثَمَا فَعِيدِي^(١)

فمخاطبة الصديقين من عادات الشعراء. ويقال إن الشاعر عندما يفعل ذلك، إنما يخاطب واحداً ويُخرج كلامه مخرج الخطاب مع الاثنين، لأن أدنى أعوان الرجل اثنان؛ راعى إبله وراعى غنمه^(٢).

وفي الأبيات الأربعة مسحة من الشوق والحزن واليأس والحسرة، وألفاظ الأبيات تشير إلى ذلك، ففي الموضع السابق نلحظ الألفاظ: الشوق وقاتل (وإضافته إلى ياء المتكلم)، وخاف، وفقد (وإضافته إلى ياء المتكلم).

ويقول في موضع آخر:

خَلِيلِي، هَلْ طَالَ الدُّجَى؟ أَمْ تَقَيَّدَتْ كَوَاكِبُهُ، أَمْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ الغَدُّ^(٣)

هنا نجد الجمل الآتية:

«طَالَ الدُّجَى»، و«تَقَيَّدَتْ كَوَاكِبُهُ»، و«ضَلَّ الغَدُّ»، وكلها تعبر عن اليأس والحزن. والبيتان السابقان من قصيدة واحدة نظمها في منفاه بسرنديب يَبُثُّ فيها أشواقه إلى مصر.

ويقول في الموضع الثالث:

خَلِيلِي! مَا فِي الدَّهْرِ أَطْوَلُ حَسْرَةً مِّنَ المَرِّ يَلْقَى فُرْصَةً فَيَجِيحُ^(٤)

وفيه نلمح الألفاظ: «الدهر»، و«حسرة»، و«يجيح».

ورابع هذه المواضع:

خَلِيلِي! هَلْ بَعْدَ الصَّبَابَةِ سَلْوَةٌ؟ وَهَلْ لَشَبَابٍ فَاتٍ بِالْأَمْسِ مَرْجِعٌ؟^(٥)

(١) الديوان جا، ص ٢٥٥.

(٢) الزوزنى، شرح المعلقات السبع، مطبعة صبيح بالأزهر (١٣٧٨ هـ - ١٩٦٨ م) ص ٤.

(٣) الديوان جا، ص ٢٦٣.

(٤) الديوان ج٣، ص ٤٦٤.

(٥) الديوان ج٢، ص ٢٣٣.

ولمّا كان المنادى - في الأبيات الأربعة - خليئاً، فليس ثمة داع لأداة النداء، فهما من القرب والدنو بحيث لا يحتاجان إلى نداء.

ب- ويظهر ذات المغزى من حذف حرف النداء في قوله مخاطباً صاحبه:

فَأَسْتَوْفِقَا (أَخَوَيْ) مِنْ شَأْنَيْكُمَا وَذَرَا الْمَطِيئِ تَمُورٌ بِالْإِخْلَاسِ^(١)

وهذا المنادى «أخوى» محذوف الأداة يرد في موضع واحد فقط هو السابق.

ج- وتتضح أيضاً ظاهرة حذف حرف النداء قبل الاسم المنادى «رَبُّ» الذي يأتي متصدراً البيت.

ويرد هذا في موضعين:

يقول:

رَبِّ!، فَتَنَّهُمْ بِفِرْيَتِهِمْ وَأَنْتَصِفَ مِنْهُمْ بِمَا رَعَمُوا^(٢)

ويقول:

رَبِّ، خُذْ لِي مِنَ الْعُيُونِ بِحَقِّي وَأَجْرَنِي مِنَ ظَالِمٍ لَيْسَ يُبْقِي^(٣)

والبيتان يشتركان في سمات واحدة: فهما دعاء إلى الله، وهما يتساويان في عدد أفعال الأمر، ففي كل فعلان: ففي الأول: قنع وانتصف، وفي الثاني: أجر وخذ. ويضاف إلى هذا أن الشطر الأول في الموضعين يبدأ بفعل أمر بعد المنادى، وأن الشطر الثاني فيهما يتصدره فعل أمر كذلك.

وجود هذه السمات كان مناسباً للدعاء، وحذف أداة النداء عند الدعاء إلى الله لا يحتاج إلى بيان.

و «رَبُّ» - في الموضعين - منادى منصوب بفتحة مقدرة مَنَعَ من ظهورها الكسرة التي جىء بها، لمناسبة بياء المتكلم المحذوفة.

د- ويأتى المنادى «رَبُّ» - وهو بمعنى صَاحِب - مضافاً وواقعاً في صدارة البيت وأداة ندائه محذوفة، وذلك في موضع واحد هو:

(١) الديوان ج٢، ص ١٦٧.

(٢) الديوان ج٣، ص ٤٢٨.

(٣) الديوان ج٢، ص ٣٢٤.

رَبِّ الْفِتْوَةِ، لا تسبق إلى عدلٍ يهبت من مَسِّه قلبى على مضض^(١)
لذا لم يكن ثمة حاجة لأداة النداء، فالمعائب إذن قريب إلى قلب مُعَاتِبِهِ.
هـ- وتحذف الأداة مع المناذى المضاف إلى ياء المتكلم «مؤلاى» في موضع واحد، فيه -
كما في سابقه - عتاب وشكوى.
يقول:

مؤلاى! قد طال مَرِيرُ النوى فكلُّ يومٍ مَرَّ بهى ألفَ عام^(٢)
وإذا عَلِمْنَا أنه كان يعاتب صديقه وأستاذه الشيخ حُسَيْنًا المَرْصَفِي اتضحت علة
حذف أداة النداء، تماما كما في سابقه، ودليل ذلك استخدامه للفظ «مؤلى» الذي يعنى
الصاحب، والناصر، والحليف والصديق، والمحِب. (٣). كما أن المناذى يتصدر البيت.
و- كما تحذف أداة النداء مع المناذى المضاف إلى غير ياء المتكلم في ثلاثة مواضع.
يقول:

إنيك ابن بَطْحَاءِ الكَلَامِ تَشَدَّرْتَ بِرُكْبِ المَعَانِي لا يُكْفِكُنْهَا الرُّجُزُ^(٤)
والبيت قاله الشاعر في مدح صديقه عبدالله «باشاء» فكرى، لذا لم يكن هناك ضرورة
لاستخدام أداة النداء، كما في سابقه.
ويقول:

أراك الحمى!، شوقى إنيك شديدٌ وصبرى ونومى في هواك شريد^(٥)
وهو يقصد بأراك الحمى: مصر، فالمنادى قريب منه.
ويقول في الموضع الثالث:

فمهلًا بنى الدنيا عَلَيْنَا، فإننا إلى غايَةٍ تنفتُ فيها المَرَايِرُ^(٦)
وهو يخاطب بهذا البيت أعداءه وظالميه.

-
- (١) الديوان ج٢، ص ١٩٤.
(٢) الديوان ج٣، ص ٣٥٩.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة: ولى، ص ٤٩٢١.
(٤) الديوان ج٢، ص ٦٨.
(٥) الديوان ج١، ص ٢٢٠.
(٦) الديوان ج٢، ص ١٠٢.

وقد تصدر البيت المصدر «مهلاً» الذي ناب مناب فعل الأمر، وورد المنادى - كسابقه - مضافاً إلى غير ياء المتكلم.

وحذف حرف النداء في الموضعين الأول والثاني كان لقرب المنادى، سواء أكان قريباً حقيقياً أم قريباً معنوياً، وذلك في «ابن بطحاء الكلام» و «أراك الحمى» .
أما الحذف في الموضع الثالث فيأتى للتحقير من شأن المنادى والتقليل من مكانته، فالمنادى - هنا - هم الأعداء المتجبرون .

ر- ويأتى المنادى علماً مفرداً معرفة في موضع واحد هو:

عَبَّاسُ، يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَدَالَةً
وَأَجَلَ مَنْ نَطَقَ امْرُؤٌ بِثَنَائِهِ
أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتُ لِي
وَجْهَهَا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي اثْنَانِهِ^(١)

والتقدير: يا عباس، وهو منادى مبنى على الضم في محل نصب، لأنه مفرد معرفة. وحذف حرف النداء؛ لأن المنادى - وهو الممدوح الخديوى عباس حلمى - قريب إلى الشاعر.

من هذا نرى أن حذف حرف النداء - بوصفه ظاهرة أسلوبية - قد ورد في ثلاثة عشر موضعاً، منها اثنا عشر موضعاً كان المنادى فيها الرب، ومن يحمل لهم الشاعر المودة والحب كخديوى مصر، وصديقه عبدالله باشا فكرى، وأستاذه الشيخ حسين المرصفى، وأخلائه وأصدقائه، وموضع واحد كان المنادى فيه ممن يبغضهم المنادى .
أما حرف النداء الذي يُقدَّر في كل صور الحذف السابقة فهو «يا»، ولا يقدر سواه عند الحذف^(٢)، ذلك أن «يا» هى أمُّ حروف النداء وأكثرها استعمالاً^(٣).

رابعاً: الحذف في التركيب الشرطى؛

الجملة الشرطية تتركب من أداة الشرط وجملة الشرط وجملة جواب الشرط . والمعنى الكائن في جملة الجواب يرتبط بالمعنى المتمثل في جملة الشرط، بحيث يصبح التركيب الشرطى - في النهاية - تركيباً واحداً^(٤).

(١) الديوان جا، ص ٦٩ .

(٢) ابن هشام: مغنى اللبيب، ج٢، ص ٤١ .

(٣) الرمانى: معانى الحروف، ص ٩٢، وابن هشام، مغنى اللبيب، ج٢، ص ٤١ .

(٤) انظر: فتح الله سليمان: الجملة الشرطية في شعر البارودى، ص ٩ .

ومن المسائل المتعلقة بالحذف في التركيب الشرطي:

(١) حذف أداة الشرط وفعله،

وَرَدَّ التركيب الشرطي الخالي من أداة الشرط وفعله، وذلك باستخدام الأمر في تسعة وأربعين موضعاً.

وأداة الشرط وفعل الشرط قد يحذفان بعد الطلب، وشرط ذلك أن يلي هذا الطلب فعلٌ مضارعٌ مجردٌ من الفاء يُقصد به الجزاء.

يقول البارودي:

فَاخْتَلِ بِنَفْسِكَ تَبْلُغَ مَا أَرَدْتَ بِهَا فَالْتَيْتُ لَا يَزْهَبُ الاِخْطَارُ إِنْ وَثَبَا^(١)

فقد جاءت جملة الطلب «احمل، بصيغة الأمر، ثم الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المجزوم «تبلغ» وتقدير الكلام: فاحمل بنفسك، إن تحمل بنفسك تبلغ ما أردت. أي: أن الفعل المضارع «تبلغ» مجزوم على تقدير أداة الشرط «إن». ويتضح هذا - أيضاً - في قوله:

وَاجْتَنِبْ مَنْ لَا تُشَاكِلُهُ تَنْجُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ غَبْنِ^(٢)

ونلاحظ أن الشرطية والتعليق واضحا رغم حذف أداة الشرط وفعله، كما أن العلاقة التلازمية بين الجملتين «اجتنب». و «تنج» ظاهرة في السياق. والتركيب الشرطي بصورته هذه تتضح فيه صفتا السرعة والمباشرة، ويتسم بالإيجاز والتركيز.

وإذا عرفنا أن أكثر من نصف هذه التراكيب (نحو ٥٨٪) قد ورد في صورة جِكمٍ وأمثالٍ سائرة، أدرَكْنَا لِمَ كان اللجوء إلى مثل هذه التراكيب، فالحكمة لا بد أن تكون موجزة وسريعة، إذ إنها تُبرز معنى ثريا في تركيب لغوي بسيط، حتى تكون قريبة إلى الذهن، سهلة الفهم.

يقول:

فَأَقْرِنِ الْجِئْمَ بِالسَّمَاحَةِ تَبْلُغَ كُلُّ مَا رُمْتَ نَيْلَهُ مِنْ مَرَادِ^(٣)

(١) الديوان جا، ص ١١٧.

(٢) الديوان ج٤، ص ١٥٤.

(٣) الديوان جا، ص ٢٣٢.

ويقول:

فَاغْتَفَ عَلَى الْعَلْمِ، تَبْلُغُ شَاؤَ مَنْزِلَةٍ فِي الْفَضْلِ مَحْفُوفَةٌ بِالْعَزِّ وَالْكَرَمِ^(١)

ويقول - أيضًا:

مَيِّزِ الْأَشْيَاءَ تَغْرِيفَ قَدْرِهَا لَيْسَتْ الْغُرَّةُ مِنْ جِنْسِ الْبَرَصِ^(٢)

ففي كل المواضع السابقة تتضح الحكمة، التي هي سمة أساسية من سمات الشعر عند البارودي.

(٢) حذف جواب الشرط:

تتعرض جملة الجواب في التركيب الشرطي للحذف إذا كان ثمة دليل عليها أو قرينة، بحيث لا يؤدي حذفها إلى لبس في المعنى^(٣).

وقد وَرَدَ حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ فِي الدِّيْوَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ. يَقُولُ:

فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِيًا وَحَالَ طَلَّابُ الْحَقِّ دُونَ التَّوَافِقِ^(٤)
فجواب الشرط محذوف.

وَيَحْسُنُ - كَمَا نَسْتَوْثِقُ مِمَّا نَقُولُ - أَنْ نَذَكَرَ مَا سَبَقَ الْبَيْتَ، وَمَا لِحَقِّهِ.

يقول:

بِرُؤُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا تَأَلَاةٌ مِنْ وَغْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقٍ

فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِيًا وَحَالَ طَلَّابُ الْحَقِّ دُونَ التَّوَافِقِ

أَنَاسٌ شَرُّوا خِزْيَ الضَّلَالَةِ بِالْهَدْيِ نِفَاقًا وَبَاعُوا الدِّينَ مِنْهُمْ بِدَانِقٍ^(٥)

فالجواب في قوله: «فَلَمَّا أَبَى الْحُكَّامُ إِلَّا تَمَادِيًا...» محذوف، وحذفه - هنا -

(١) الديوان ج٣، ص ٢٦٢.

(٢) الديوان ج٢، ص ١٨٥.

(٣) اختلف النحاة حول ما يتقدم جملة الشرط، فبعضهم يرى أن ما يسبقها هو الجواب بعينه، وآخرون يرون أن ما يتقدمها إنما هو دليل عليها، وجوابها - حينئذ - محذوف. وإذا كانت «الشرطية» تعنى تعليق حدث جملة الجواب على نظيره في جملة الشرط بحيث لا يصح إطلاق المعنى الذي فيه جملة الشرط دون تقييده بما بعده، إذن نستطيع القول إن ما سبق جملة الشرط هو الجواب نفسه. انظر: سيبويه، الكتاب، ج٣، ص ٦٦، ٦٧، والسيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص ٦١.

(٤) الديوان ج٢، ص ٣٦٤.

(٥) الديوان ج٢، ص ٣٦٤، ٣٦٥.

يثير ذهن المتلقى، وتلفت انتباهه، فيقوم هذا المتلقى بتخيل ما هو محذوف، وصياغته على نحو يؤدي إلى اكتمال المعنى، ومن ثمَّ تَحْدُثُ عمليةُ تفاعلٍ بينه وبين الشاعر.

خامساً: حذف الفضلات أو «المكملات»:

قد تتركب الجملة من مسند ومسند إليه وحدهما، وقد يُزاد عليهما من الألفاظ بغرض استيفاء المعنى. واللفظ الذي يردُّ في الجملة وليس مسنداً أو مسنداً إليه يسمى فضلة. وقد وَرَدَ الحذف في الفضلات في الصور التالية:

(١) حذف المفعول به؛

ولهذه الظاهرة ثلاث صور:

الصورة الأولى: حذف المفعول به لفعل يتعدى - في الأصل - إلى مفعول به

واحد.

وبأتى في موضعين:

يقول:

إِذَا ارْتَأَى بَدْرَتْ أَسْوَارُ جِحْمَتِهِ كَمَا تَطَايَرَ بَعْدَ الْقَذْحَةِ الشَّرَرُ^(١)

ويقول:

وَدَارِ الَّذِي تَرْجُو وَتَخْشَى وِدَادَهُ وَكُنْ مِنْ مَوَدَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى حَنْزِرٍ^(٢)

والتقدير في الأول: إذا ارتأى أمراً، وفي الثاني: ودار الذي ترجو وداده وتخشى

عدوانه^(٣).

ومغزى الحذف في كلا الموضعين أنه يعطى عدة خيارات من مفاعيل مختلفة، إذ

يُمْكِنُ أن نتخيل في الموضع الأول، إذا ارتأى أمراً أو خطه، أو شيئاً... ويمكن أن

نتصور في الثاني، تخشى عدوانه، أو ظلمه، أو كيد، أو مكره، أو دهاء...

(١) اللديوان ج٢، ص ٥٠.

(٢) اللديوان ج٢، ص ١٦.

(٣) انظر شرح البيتين باللديوان ج٢، ص ٥٠، ١٦.

الصورة الثانية: حذف المفعول به الأول لفعل يتعدى - في الأصل - إلى

مفعولين:

ويأتى هذا الحذف في موضع واحد هو:

كَانَتْ لَهُمْ غَضَبٌ يَسْتَدْفِعُونَ بِهَا كَيْدَ الْعَدُوِّ، فَمَا ضَرُّوا، وَلَا نَفَعُوا^(١)

فالفعل «يستدفع» يتعدى في الأصل بنفسه إلى مفعولين، فيقال: «استدفعتُ الله تعالى الأسواء، أى طلبتُ منه أن يدفعها عني»^(٢).

وحذفُ المفعول به الأول يجعل الذهن ينصرف إلى تصور عدة مفاعيل: فهم يستدفعون «الله»، أو «أنصارهم» أو «قومهم»....

الصورة الثالثة: حذف المفعول به الثاني لفعل يتعدى - في الأصل - إلى

مفعولين:

ويردُ في موضع واحد هو:

وَلَا تَتَّظَّنُّوا نَمَاءَ الْمَالِ، وَانْتَسِبُوا فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا نَجْوِيهِ ذُو نَسَمٍ^(٣)

إذُ حَذَفَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لـ «ظن».

وهنا يمكن تصور عدة مفاعيل، يصلح كل منها لأن يكون مفعولاً ثانياً مثل «كافياً» أو «حامياً» أو «منشئاً حضارة»... وفي كل تصور يختلف المعنى عن نظيره.

والفعل «ظن» من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين «وليس لك أن تقتصر على أحدهما دون الآخر»^(٤). أما علة وجوب ذكر المفعول الثاني فهي أن أفعال الشك واليقين - ومنها ظن - ليست أفعالاً وصلت منك إلى غيرك، إنما هو ابتداء وخبر»^(٥).

وعلى الرغم من حذف المفعول الثاني لـ «ظن» إلا أن المعنى قد ازداد ثراءً، بسبب تعدد المفاعيل المحتملة الوقوع.

(١) الديوان ج٢، ص ٢٦٢.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة، دفع، ص ١٣٩٤.

(٣) الديوان ج٣، ص ٢٧٠.

(٤) المرید، المقتضب، ج٣، ص ٩٥.

(٥) المرجع السابق، ج٣، ص ٩٥.

(٢) حذف النعت:

ويقع في موضع واحد هو:

وَصَهْرِي عَلَى الْأَيَّامِ لِأَمِنْ مَثَلَةٌ
وَلَكِنْ يَدٌ مَغْلُوبَةٌ وَحَسَامٌ^(١)
أى: «ولكن يد مغلوبة وحسام مغلول».

وقد حُذِفَ النعت - هنا - لأن ما قبله يدل عليه، فالعطف أشرك المنعوتين في ذات النعت، كأنه يقول: «يد وحسام مغلولان».

(٣) حذف المنعوت وإبقاء النعت:

ويَرِدُ في ستة مواضع.

يقول:

وَهَلْ أَسْوَقُ جَوَادِي لِلطَّرَادِ إِلَى
صَهْدِ الْجَادِرِ فِي خَضْرَاءٍ بَمَزَاجٍ^(٢)
أى: في أرض خضراء..

والمواضع الستة التي حُذِفَ فيها المنعوت واكْتُفِيَ بالنعت كلها في الوصف. والتلازم بين النعت والمنعوت هو ما جعل حذْفَ المنعوت أمرًا غير مُخِلٍّ، فالنعت ملتصق بمنعوته، بحيث إنَّ ذِكْرَ هذا النعت يغنى عن التصريح بالمنعوت.

(٤) حذف المستغاث به:

ويأتى في موضع واحد هو:

ذَا بَ لِفَوَادِي بِحُبِّ لَيْلَى
يَا لِفَوَادِ بَرَاهُ وَجَدًا^(٣)

«يَا لِفَوَادِي»: أسلوب استغاثة وهي نداء من يعين على دفع مشقة. و «يَا»: حرف نداء واستغاثة، واللام بعده مكسورة لدخولها على المستغاث لأجله، والمستغاث به محذوف. وحذْفُ المستغاث به - هنا - جعل بالإمكان أن نتصور مستغاثًا به من بين عدة خيارات، فالمستغاث به هو «الناس» أو «ليلى» - محبوبته - أو «العاشقون» الذين يعانون ما يعانى.

(١) الديوان ج٣، ص ٥٢٥.

(٢) الديوان ج٢، ص ٢٦٧.

(٣) الديوان ج١، ص ٢٦٠.

(٥) حذف المستغاث لأجله:

ويجىء في موضع واحد هو:

بَنُوخٌ عَلَى فَقْدِ الْهَدِيلِ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهُ، فَمَا لِلَّهِ كَيْفَ تَهَكَّمَا^(١)

واللام في «يا لله» مفتوحة لدخولها على المستغاث به. والمستغاث لأجله محذوف، والتقدير: يا لله لهذا الطائر. ومغزى حذف المستغاث لأجله هنا - وهو الطائر - أنه قد هلك بنواحه على الهديل - جُدُّ الحمام - فالحذف إذن رمز لهلاك هذا الطائر.

(٦) حذف المعطوف عليه:

ويأتى في موضعين، أولهما:

بَا قَلْبُ مَالِكٍ لَا تُفِيءُ سَقُ مِنْ الْهَوَى بَا قَلْبُ مَالِكٍ
أَوْ مَا بَدَأَ لَكَ أَنْ تَكُو دَ عَنِ الصَّبَا؟ أَوْ مَا بَدَأَ لَكَ؟^(٢)

فألهمزة في أول البيت للاستفهام، والواو بعدها عاطفة، والمعطوف عليه محذوف، أى: «أتماديت في الصبا، وما بدا لك أن تعود عنه»^(٣).

وثانيهما:

بَا قَرِيبَ الْعَيْنِ بِالْوَسْنِ! مَا الَّذِي أَلْهَكَ عَنِ شَجْنِي
.....
هَبِكَ لَمْ تَسْمَعْ شِكَاةَ فَمِي أَوْ لَمْ تُبْصِرْ صَنَى بَدْنِي؟^(٤)

وهو كسابقه، والمعطوف عليه المحذوف مقدر، أى: أغفلت ولم تبصر^(٥).

(١) الديوان ج٢، ص ٣٩٩.

(٢) الديوان ج٢، ص ٣٧٥ و ج٣، ص ٢٥٥.

(٣) انظر شرح البيت بالموضعين السابقين.

(٤) الديوان ج٤، ص ٩٠.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان ج٤، ص ٩٠.

ويتفق البيتان في سمتين أساسيتين،

الأولى: أنهما يدوران حول الحب والهوى.

والثانية: أن المعطوف عليه في الموضعين مسبوق بأداة استفهام. ويختلفان في أن

المعطوف عليه المحذوف موقعه صدر البيت في أولهما، وعجزه في ثانيهما.

أما حَذْفُ المعطوف عليه في البيتين فعَلْتَهُ أَنْ أهميته أقل من مثلتها في المعطوف، فلا

يعنيه أن قلبه قد تمادى في الصبا بقدر ما بهمه أن يعود عن هذا الصبا... ولا يقلقه أن

حبيبه قد أغفل شكواه بقدر ما يؤله أنه لم يبصر ضنى بلده.

معنى هذا أن المعطوف هو الأحق بالانتباه من المعطوف عليه، لذا كان ذِكْرُ الأول

وإغفال الثاني.

* * * * *

النتائج

نخلص من هذا الفصل إلى النتائج التالية:

(١) أن وقوع المسند ذى المسند إليه المحذوف في أول الصدر يجعل المعنى مبيّنًا على هذا المسند، فتتمحور كلُّ المعانى والصور حوله، بينما تأخره ووقوعه في عجز البيت يؤدي إلى إفقاده بعض أهميته.

وثمة دلالات - كما رأينا في شعر البارودي - لحذف المسند إليه في مجالات الوصف، والغزل، والمدح، والفخر، والثناء؛ إذ الحذف فيها يأتي للتعظيم والتوقير. أما في مجالات الذم والهجاء، والزهد فالحذف فيها يشير إلى التحقير والتهوين.

(٢) أن حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول المطلق، وحذفهما في التراكيب الشائعة يأتيان تأثرًا بالأساليب العربية التقليدية ومحاكاةً للقدماء والتراث العربي القديم.

(٣) أن حذف المسند والمسند إليه والاكتفاء بالمفعول به الذي يقع في صدر البيت يُضفى على هذا المفعول أهمية خاصة.

(٤) قد يكون مبرر حذف المسند والمسند إليه وجود قرينة على حذفهما في السياق.

(٥) أن حذف همزة الاستفهام يؤدي إلى إثبات الحكم ويحوّل الكلام من الإنشاء إلى الخبر.

(٦) يأتي حذف «لا» النافية في جواب القسم حين لا يلتبس المعنى بالإثبات، أما حذفها بعد «حتى» فيفيد التحقيق والتأكيد.

(٧) قد تحذف «هل» بعد أم التي للإضراب، فيؤدي حذفها إلى إثبات المعنى.

(٨) أن حذف حرف النداء إما أن يدل على قرب المنادى ودنوه، بحيث لا يكون ثمة حاجة

لاستخدام الأداة، وهو الأغلب، وإما أن يكون تحقيرًا من شأن المنادى وهو نادر.

(٩) أن حذف أداة الشرط وفعله في التركيب الشرطى يجعل التركيب متسمًا بالإيجاز

والمباشرة والسرعة، ومجال الحكمة هو أكثر المجالات التي يصلح لها مثل هذا التركيب.

أما حذف جواب الشرط فيصرف الذهن إلى تصور ما هو محذوف، وبتعدد المتخيل

تتعدد المعانى وتزداد ثراءً، كما أن هذا الحذف يكون بمثابة إشراكٍ للمتلقى في عملية الإبداع، ويصدق هذا أيضاً على حذف المفعول به وحذف المستغاث به.

(١٠) يأتي الحذف في النعت حين يكون هناك ما يدل عليه في السياق، أما حذف المنعوت فيجىء عندما يكونان متلازمين، بحيث إن ذكر أحدهما أغنى عن التصريح بالآخر. (١١) يردُّ حذف المستغاث لأجله رمزاً لهلاكه، أى أن الواقع اللغوى يرمز إلى المعنى ويشير إليه.

(١٢) أن حذف المعطوف عليه يعنى أنه أقل أهمية من المعطوف.

